أمهات المؤمنين

صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ

إعداد : محمد عبد الله رسوم : ماهر عبد القادر

جميع الحقوق محفوظة

برقم إيداع: 2017/2515

المجد للنشر والتوزيع: 01006372799

نَشَأَتْ صَفِيَّةُ فِي بَيْتِ أَبِيهَا حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ زَعِيمِ بَنِي النَّضِيرِ وَأَحَدِ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ، وَكَانَ حُيَيٌّ يَكْرَهُ النَّبِيَّ ﷺ كُرْهًا شَدِيدًا رَغْمَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكَثِيرًا مَا نَقَضَ عَهْدَهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَخَاضَ مَعَهُمْ حُرُوبًا كَثِيرَةً.

3

وَلَمَّا كَبُرَتْ صَفِيَّةُ تَزَوَّجَتْ سَلَّامَ بْنَ مِشْكَم، وَكَانَ شَاعِرًا، ثُمَّ تَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ كِنَانَةَ بْنَ أَبِي الحُقَيْقِ وَكَانَ شَاعِرًا أَيْضًا، وَكَانَ يُكِنُّ الْعَدَاوَةَ أَيْضًا لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَتْ صَفِيَّةُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ قَمَرًا سَقَطَ فِي حِجْرِهَا فَلَمَّا أَخْبَرَتْ زَوْجَهَا لَطَمَهَا عَلَى وَجْهِهَا وَقَالَ لَهَا: تُمَنِّينَ هَذَا الْمَلِكُ الَّذِي بِالْمَدِينَةِ.

5

كَانَ الْيَهُودُ يَكِيدُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ وَكَانَتْ خَيْبَرُ أَكْثَرُ عَدَدًا وَأَشَدُّ حُصُونًا لَكِنَّ اللهَ نَصَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ وَقُتِلَ كِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ زَوْجُ صَفِيَّةَ، وَوَقَعَتْ صَفِيَّةُ فِي الْأَسْرِ.

7

وَأَخْبَرَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ النَّبِيَّ ﷺ بِوُقُوعِ صَفِيَّةَ فِي الْأَسْرِ، فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا تَكْرِيمًا وَتَشْرِيفًا لَهَا، لِأَنَّهَا كَانَتْ ابْنَةُ سَيِّدٍ مِنْ سَادَاتِ الْيَهُودِ وَلِأَنَّ نَسَبُهَا يَنْتَهِي إِلَى سَيِّدِنَا هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ رَأَى فِي وَجْهِهَا خُضْرَةً فَسَأَلَهَا: «مَا هَذَا؟» فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ هَذَا مِنْ أَثَرِ اللَّطْمَةِ حِينَ قَصَّتْ عَلَى زَوْجِهَا السَّابِقِ خَبَرَ الرُّؤْيَا، وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ رضي الله عنها شَدِيدَةُ الْاهْتِمَامِ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَحِينَمَا كَانَ يَعْتَكِفُ فِي الْمَسْجِدِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ كَانَتْ تَذْهَبُ إِلَيْهِ وَتَتَحَدَّثُ مَعَهُ فِي الْمَسْجِدِ.

كَانَتْ السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ رضي الله عنها عَاقِلَةً فَاضِلَةً؛ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ جَارِيَةً لَهَا أَتَتْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقَالَتْ: إِنَّ صَفِيّةَ تُحِبُّ السَّبْتَ وَتَصِلُ الْيَهُودَ. فَبَعَثَ إِلَيْهَا عُمَرُ فَسَأَلَهَا فَقَالَتْ: «أَمَّا السَّبْتُ فَإِنِّي لَمْ أُحِبَّهُ مُنْذُ أَبْدَلَنِي اللهُ بِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَأَمَّا الْيَهُودُ فَإِنَّ لِي فِيهِمْ رَحِمًا وَأَنَا أَصِلُهَا». ثُمَّ قَالَتْ لِلْجَارِيَةِ: «مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا صَنَعْتِ؟» قَالَتْ: الشَّيْطَانُ. قَالَتْ: «اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ».

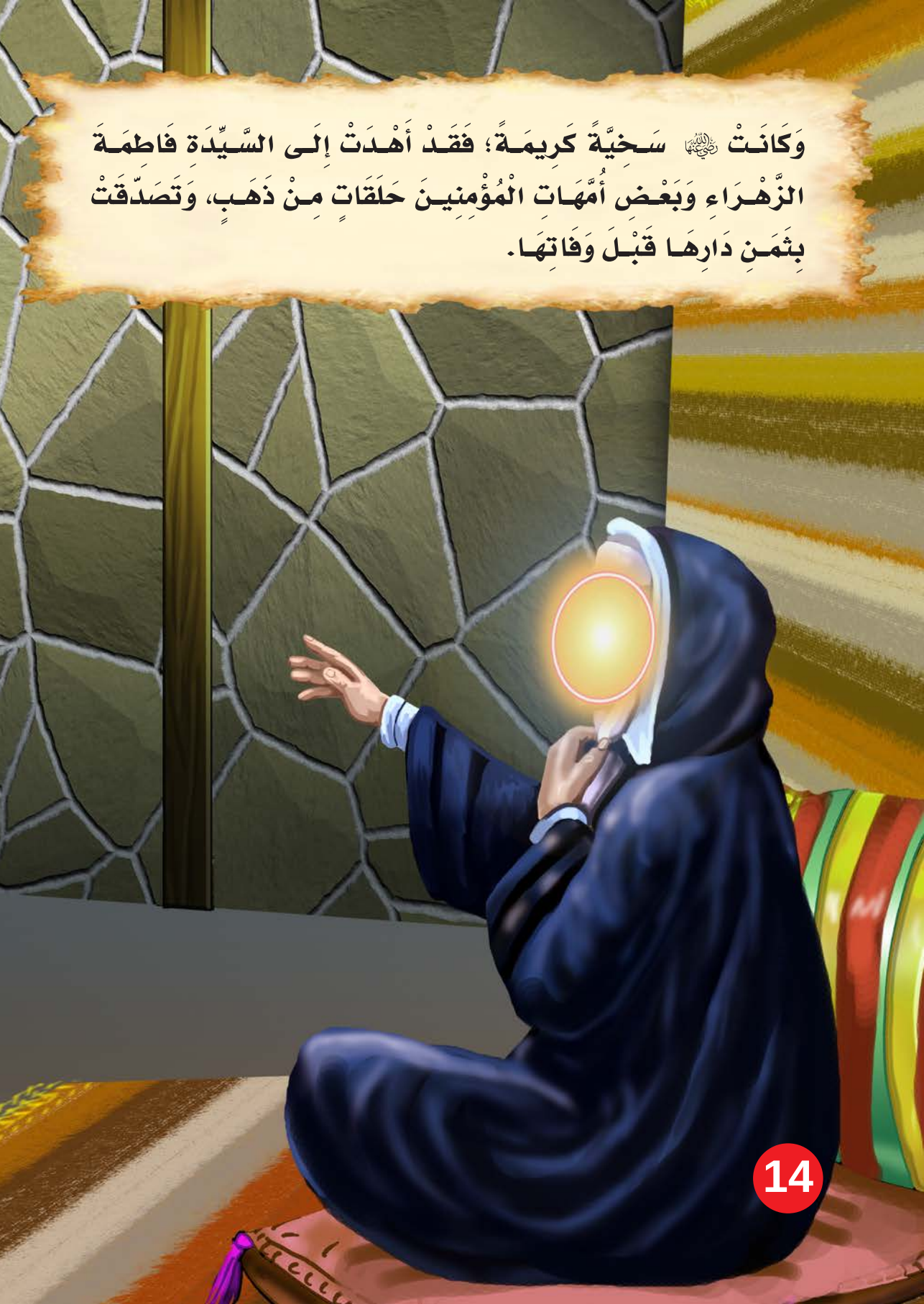

وَكَانَتْ ﵂ سَخِيَّةً كَرِيمَةً؛ فَقَدْ أَهْدَتْ إِلَى السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ وَبَعْضِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ حَلَقَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَتَصَدَّقَتْ بِثَمَنِ دَارِهَا قَبْلَ وَفَاتِهَا.

وَقَدْ رَوَتْ عَنْ النَّبِيّ ﷺ عَدَدًا مِنَ الْأَحَادِيثِ. وتُوُفِّيَتْ رضي الله عنها سَنَة (٥٠ هـ/ ٦٧٠م) فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، ودُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ.